

أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية*

عاصم شحادة علي**

تقديم

ليس الهدف من عرضنا لهذا الكتاب تقديم دراسة بذل فيها الباحث وسعه في موضوع مهم يدور حول النظرية التربوية الإسلامية فقط، بل ما تنشده هذه القراءة هو أن تتناول أفكار الكتاب بشكل عام، بغض النظر عن أي اعتبار آخر، وكذا مناقشتها مناقشة موضوعية تحرص على إبراز أصول النظرية التربوية الإسلامية وبيان أهدافها وآثارها في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية وربطها بقضية توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي.

تقع الأطروحة الموسومة بـ "أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية" في جزء واحد، ويبلغ عدد صفحاتها (640) صفحة من الحجم المتوسط، بما في ذلك ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية واللغة الإنجليزية، وفهرس الآيات القرآنية الكريمة، وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة والكشاف الموضوعي.

هذا، وقد قسم الكاتب أطروحته إلى مقدمة وستة أبواب وختمها بتوصيات. وتعرض الباحث في الباب الأول إلى أهمية البحث في أهداف التربية، وفي الباب

* ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1417هـ/1997م).

** طالب دكتوراه في كلية اللغويات، جامعة ملايا، ماليزيا، ويعمل محاضراً بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الثاني، إلى تربية الفرد المسلم أو الإنسان الصالح، وفي الباب الثالث، إلى إخراج الأمة المسلمة، وفي الباب الرابع، إلى مكونات الأمة المسلمة، والباب الخامس، إلى صحة الأمة ومرضاها وموتها، والباب السادس والأخير، إلى تنمية الإيمان بوحدة البشرية والتآلف بين بني الإنسان.

عرض عام لأهم أفكار الكتاب

يبدأ الباحث الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، في مدخل الباب الأول باستعراض دور الأهداف في العملية التربوية، وأزمة التربية الحديثة وحاجة المؤسسات التربوية في الأقطار العربية والإسلامية إلى أهداف تربوية إسلامية.

وقد بين الباحث أهمية الحاجة إلى أهداف تربوية إسلامية للمؤسسات التربوية في الأقطار العربية والإسلامية، وذلك لأن المجتمع العربي الإسلامي قد اندمج في الحضارة الغربية ولا سيما في الفكر التربوي ولم يحتفظ بالشخصية الحضارية للأمة. ثم ينتقل الباحث في الباب الثاني إلى تحليل معنى الإنسان الصالح في التربية الإسلامية، وعناصر الإنسان الصالح وتربية الفرد وتنمية خبراته الدينية والاجتماعية والكونية والعقلية. وفي سياق تعرضه لتربية الفرد تناول الكاتب مشكلة تربية الفرد في أهداف التربية الحديثة حيث إن التربية الحديثة تقدمت تقدماً ممتازاً في ميدان دراسة الإنسان النفسية مثل: دراسات القدرات العقلية وتصنيفها والدراسات المتعلقة بالدماغ والجهاز العصبي، والقدرات الجسدية والتعمق في فهمها وتوظيفها وعلى الرغم من ذلك، فإن الأزمة ما زالت قائمة في القدرات الأخلاقية.

ومن أهم الظواهر البارزة التي يذكرها الباحث في شأن مشكلة الفرد وتربيته في التربية الحديثة حصرها مفهوم العمل الصالح في التناج المادي وإيجاد الفرد المنتج - المستهلك - وحصر الخبرات بالكونية والاجتماعية دون الدينية والأخلاقية، وحصر القدرات بالعقلية والجسدية دون الأخلاقية وتطرقه إلى أزمة تربية الفرد في المؤسسات التربوية القائمة في الأقطار العربية والإسلامية.

في الباب الثالث يتوجه الباحث إلى مناقشة أهداف التربية الإسلامية وإبرازها والتي تتمثل في إخراج الأمة المسلمة حيث تناول مفهوم الأمة المسلمة مبيناً أن هذا المفهوم يشمل: (إنسان + رسالة)، حيث جاء مفهوم الأمة المسلمة بوصفه حلقة في

تقويم عام لمنهجية الكتاب وإطاره التحليلي

بعد هذا العرض المختصر لموضوعات الكتاب ومباحثه سأتناول في قراءتي لهذا الكتاب بعض القضايا ذات علاقة بمنهجية الكتاب وإطاره التحليلي دون اللجوء إلى المناقشات التفصيلية لمحمل الأفكار الواردة فيه، تاركاً للمتخصصين أمر تقويمها تقويماً منهجياً تفصيلاً.

وقبل البدء في مناقشة الكتاب يحسن الإشارة إلى بعض الحقائق التي يتركز عليها الإطار العام الذي يقوم فيه الكتاب في منهجيته وموضوعه وهي:

أولاً: ليس ثمة أحد من المؤرخين أو المربين يستطيع إنكار أن التربية الإسلامية تعدّ الأساس المتين للحضارة الإسلامية، وأن المثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة في علم التربية اليوم.¹

ولقد استطاع الاحتلال التأثير في معركته مع المسلمين حول نوعية المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الإرساليات التبشيرية التي وضعت مناهج التعليم في الدول الإسلامية. وإذا كان المسلمون قد ضعفوا في الشريعة فاقصيت، ومفهوم نظرية الاقتصاد الإسلامي ونبذها واستبدالها بالمفهوم الرأسمالي، وضعفوا في مفاهيمهم الاجتماعية بسبب مناهج التعليم التي تدرس في المجتمعات الغربية والتي يقوم بعضها على إنكار فطرية الأسرة وثبات الأخلاق.

ومفهوم هذا الخطر إنما ينبع من أن النفس البشرية (الإنسانية) في العالم الإسلامي كله قد انحسرت في بيئتها مفاهيم الثقافة الإسلامية المعتمدة على القرآن والسنة الشريفة، وضعف القدرة داخل البيت يجعل الشباب يحس بالفراغ في الوجدان والعاطفة والفكر وعند ذهابه إلى المدرسة يلتقي بالمناهج التي تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة، وذلك لأن الواقع التربوي للعالم الإسلامي المعاصر يبين أن العالم الإسلامي لم يتمكن في معظم أنحاءه من اختيار النظام التربوي الأمثل وفق المبادئ التي يؤمن بها، وكان من نتيجة الاحتلال الأجنبي وغلبته العسكرية والاقتصادية والثقافية على كثير من البلاد الإسلامية التي انصاعت إلى اتباع النظريات التربوية التي وفدت

¹ انظر آمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي (جدة: جامعة أم القرى، ط1، 1402هـ)، ص11.

سياسية التربية في مجتمعاتهم، فمنهم من استهدف النشاط الغريزي للإنسان، ومنهم من عبد آلهة متعددة كأفلاطون وأرسطو، ومنهم من اتبع عقيدة محرفة مثل جان جاك روسو، ومنهم من أهمل الدين تماماً مثل جون ديوي، فلا غرو إذاً أن تأتي نظريات الغرب متناقضة تحمل في جنباتها أسباب الهدم لا البناء، ولو كانت نظريات الغرب صادقة معبرة عن حاجات المجتمع الإنساني لما تغير هذا التغير في الأهداف والوسائل، وذلك لأن طبيعة الفكر البشري عامة ومحدود بزمان معين ومكان معين ولا يحمل صفة القطع والثبات، بل هو متغير متبدل.

وإذا نظرنا نظرة ثاقبة إلى الفروق البعيدة مثلاً: بين أفلاطون وجان جاك روسو، نجد أن أفلاطون قد نادى بالقيود وكان استبدادياً في نظريته إلى الفرد،⁴ حيث جرّد الفرد من انتمائه إلى الأسرة ورعاية الأطفال والزوجة، بينما نادى روسو بتحطيم القيود، ومساعدة الطفل على تنمية جسمه وتفتح شخصيته وتكاملها وتحقيق ذاته وتعيده على الشجاعة والاستقلال والاعتماد على النفس.⁵

وكذلك الفرق الواسع بين آراء أرسطو،⁶ وآراء جون ديوي في جوانب التربية كافة حيث إن نظرية أرسطو تقوم على أساس تقسيم الناس إلى أسياد وعبيد، وأن التربية توجه إلى الأفراد، وأما العبيد فليس عليهم إلا أن يعملوا في خدمة سادتهم. وأما جون ديوي، فيرى أن الهدف الأعلى للتربية هو استمرار التربية، أو بعبارة أخرى أن هدف التربية هو مساعدة الفرد على أن يستمر في التربية وبنموه وتعلمه وتكيفه مع البيئة، بمعنى ألا تكون أهدافاً مفروضة عليه من الخارج.⁷ وقد اتجه الكيلاني، إلى مفهوم هذه النظريات وأكد نقاط الضعف في مفاهيم

4 انظر نظلة الحكيم ومحمد مظهر سعيد، كتاب جمهورية أفلاطون (القاهرة: دار المعارف، ط3).

5 انظر جان جاك روسو، ترجمة نظمي لوقا (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1958)، ص81.

6 حدد أرسطو معالم نظريته التربوية في أربعة أبعاد رئيسة وهي تدور حول ما يأتي:

- 1- ما أفضل أنواع التربية على الأخلاق.
- 2- ما أنسب أنواع التربية لفرد بذاته أو لمجموعة معينة من الأفراد وفقاً لظروفهم وإمكاناتهم.
- 3- ما أفضل أنواع التربية بالنسبة للغالبية العظمى من الأفراد.
- 4- ما نوع التربية المناسب الذي يحقق النمط المرغوب فيه بالنسبة لفرد ما أو مجموعة من الناس.

انظر ذلك في: سيد الجيار، دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص53.

7 انظر عمر محمد الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، ص351-355.

أ - عدم وجود فلسفة تربوية صحيحة، وجمودها وعجزها عن مسايرة التطورات الاجتماعية المتسارعة، ب - اتباع نظم قبول متباينة وغير سليمة، ج - اقتصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات أو التدريب على عدد من المهارات المحدودة، د - أن هدف الطلاب هو التعليم للحصول على الشهادة، هـ - الاعتماد على نظم الامتحانات بوصفها أسلوباً أساسياً لعملية تقويم الطلبة وفشل ذلك الأسلوب، و - الفصل بين الموارد الإنسانية والعلمية، والتمييز بين التعليم العام والتعليم التقني، ذ - الخلاف على مهمة حاجات الجامعات هل للتعليم أو للتدريب المهني أو للبحث العلمي، ح - انقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة وعن المجتمعات، وافتقارها إلى النظرة الإنسانية الشاملة، واتخاذ كثير من دول العالم نظاماً تربوياً مستورداً غريبةً عن مجتمعاتهم.

وتناول الباحث - الكيلاني - موضوع أزمة التربية الحديثة من حيث الأصل التربوي وقد تركزت مظاهر الأزمة في أمور عدة، ولم يخرج الكاتب عن الإطار الذي تناوله زغلول النجار، ولكنه توصل إلى الآراء نفسها، وتناول قائمة الأهداف التربوية التي توصلت إليها (لجنة البحث والتنظير الأمريكية)، حيث رأى أن هذه الأهداف لم تنج من العيوب، ورأى أنها لم تورد عن التربية الإنسانية إلا تعميمات فضفاضة، ويرى الباحث بأن ثمة ضرورة إلى بلورة أهداف تربوية تتصف بالأصالة والمعاصرة، فالكاتب لم يفلت من الخطأ الذي وقع فيه بعضهم حيث أراد أن يثبت أن الأهداف التربوية خاطئة في بعض جوانبها. والأصل أن يكمل هذه الأهداف بالبديل العملي الإسلامي، ولذا اتجه إلى تحديد مفهوم تربية الفرد أو الإنسان الصالح، حيث بسط القول في ذلك فالتربية الإسلامية تعنى بإعداد الفرد للقيام برسالته ومسؤوليته من حيث طلب العلم وتركيب النفس، فالتربية الإسلامية تُربي الإنسان الصالح العابد، المؤمن القوي المتوازن والنظيف والحساس للجمال، فالتربية الإسلامية عقيدة وعبادة وخلقاً وعلماً وتوجيهاً اجتماعياً تعمل عملها لتكوين الفرد الصالح الذي يسعد نفسه وأسرته ومجتمعه ويؤدي دوره.¹⁰

وقد حاول الباحث التفصيل في ذلك وجمع الآيات القرآنية وحاول تصنيفها إلى أنواع العمل الصالح ثم فرّع كثيراً في مفهوم العمل الذي يمكننا أن نفهمه دون هذا الإرهاق الذي يصيب القارئ (ص68).

10 انظر محمد قطب، منهج التربية الإسلامية (القاهرة: دار الشروق، ط4، 1410هـ)، ج1، ص234.

إخراج الأمة فهو أحد أهداف التربية الإسلامية الحديثة حاول الكاتب أن يبين لنا مفهوم الأمة اصطلاحاً بشكل مثير، ثم محاولته تحديد طور الأمة ونشأتها، وحدد المكونات الرئيسة لنموذج الأمة المسلمة، وهو اجتهاد للباحث حيث صمم هذه المكونات بتصميم خاص يساعد القارئ على استيعابه، وقد أخذ تناوله للموضوع حيزاً واسعاً لشرح مكونات الأمة (ص225-376)، وشعب في ذلك، وموضوع الكتاب لا يتطلب هذا الحشد من التفسيرات والمناقشات حيث شق على نفسه بتناول هذه القضية بطريقة تفصيلية.

وأما مفهوم صحة الأمة ومرضاها وموتها فأرى أن الباحث في مذهبه قد تطرف بعض الشيء وذلك لأن مرض الأمة وموتها ليس له علاقة مباشرة بموضوع الكاتب وبهذا الحجم من التفصيلات، ذلك لأن إخراج الأمة إنما يرتبط بالبنى الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية، وهو ما يعبر عنه بالمؤثرات السياسية والاجتماعية والتربوية والاستعمار العسكري، فكان الكاتب يحدثننا عن الأمة المسلمة وما أصابها من منطلق الوعظ الديني ذلك لأنه أورد آيات كثيرة وأحاديث شريفة ذات علاقة بالوعظ الديني والتذكير وهو ما يؤكد مذهب الباحث في التطرف والتشعب في الموضوعات.

وأما تناوله لمشكلة التناقض بين إعداد الفرد وإخراج الأمة (ص477) فإن ذلك يمكن أن يعبر عنه باستعراض المشاكل الناجمة عن الاقتباس الخاطيء للتربية الغربية، وإن قول الباحث (ص486) بأن التناقض في أهداف التربية الحديثة إنما يعود إلى بشرية المصدر الذي تستمد منه هذه الأهداف قول يؤكد الواقع حيث إن نظم التعليم الغربية مبنية في الغالب على فلسفات ثنائية أو انشطارية Dualist فهي فلسفات تفصل الدين عن الدولة، والروح عن الجسد أو الفرد عن الجماعة، وهي في الغالب تعوزها الوحدة والانسجام في معالجة الأمور، وإن فقدان التربية الحديثة للتوحيد والانسجام أدى إلى التطرف والتجبر والفكر المغلق والتعصب حيث إن المرء قد يلجأ إلى الطعن بدلاً عن الحوار، ويمارس البغضاء والكراهية بدلاً عن الأخوة والمحبة.

إن مشكلة التربية هي مشكلة إنسانية، إنها مشكلة الإنسان من حيث هو فرد ومن حيث هو نوع، ولذلك فإن أهداف التربية الإسلامية هي تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية وقيام الإنسان بمهامه

الفردية، وكذلك نجد الباحث لم يضع أساساً واضحاً لتصنيف أنواع التفكير وأشكاله، حيث إن التفكير يسمى عادة بالمنهج لا بالموضوع. وما ذكره (ص93) حول أنواع الحرية والأدق أن نقول: صور الحرية أو أشكالها.

4 - تطرق الباحث عند شرحه لمفهوم الأمة وإخراج الأمة إلى تفصيلات أرهقته وأرهقت القارئ وذلك لأن موضوع البحث يتطلب عدم التفريع والشرح المفصل الذي يخرجنا عن دائرة التواصل مع الأفكار.

5 - ما يؤخذ على الباحث أنه لم يعتمد في مراجعته الحديثة أي كتاب ذي صلة بالتربية الإسلامية ولا سيما محمد قطب وغيره من ذوي النظرات الثاقبة في تحديد مفاهيم التربية الإسلامية وأهدافها بشيء من الوضوح.

6 - نقترح على الباحث أن يعيد طباعة الكتاب بعد إدخال تحسينات نراها ضرورية جداً كحذف الكثير من التفريعات والعناوين والتفاصيل التي لا علاقة لها بعنوان الكتاب، وذلك فيه تحديد للموضوع بصورة أكثر منهجية من حيث عدم تكرار الموضوعات بعناوين مختلفة كما في التربية الحديثة، وكذلك عدم تحديد الباحث لإيجابيات التربية الغربية الحديثة ولا سيما لدى الذين أثاروا في العمل التربوي وبناء الشخصية الغربية.

7 - البحث يحتاج إلى قراءة أخرى من زوايا عدة:

- 1 - تحديد المصطلحات التي استخدمها الباحث بدقة متناهية.
 - 2 - فهم الأهداف التربوية الإسلامية بشكل واضح.
 - 3 - إعادة ترتيب الموضوع من حيث العناوين والتفصيلات.
 - 4 - مدى صدق الاستشهاد بالآيات القرآنية وربطها بالموضوعات الجزئية.
 - 5 - دلالة الألفاظ والمصطلحات ومدى قدرة الباحث على ربطها بالموضوع.
- وفي الختام أحبي الباحث على ما قدم من جهد مبارك، وأودّ أن أشير إلى أن جملة هذه الملاحظات المنهجية لا تقلل من قيمة هذا العمل الذي يمثل إضافة حقيقية مبدعة في المجال التربوي الإسلامي. وأخيراً ندعو الله أن يكون هذا السفر لبننة من لبنات البناء الحضاري التربوي في إعداد الفرد وإخراج الأمة وتممية العلاقات الإنسانيّة.